

الفصل الخامس التربية فى التفسىر بالمأثور للقرآن الكرىم

الصفحة

- أولاً : مفهوم التربية فى التفسىر بالمأثور للقرآن الكرىم ١٩٤
- ثانياً : الجوانب الشمولية فى التربية . ١٩٥
- ١ - التربية الجسمىة . ١٩٥
- ٢ - التربية العقلىة . ٢٠١
- ٣ - التربية الخلقىة . ٢٠٥
- ٤ - التربية الروحىة . ٢١١

أتى الإسلام بقواعد ومنطلقات أرست دعائم النظرة للإنسان، فقد نظر الإسلام للإنسان على أساس ما وهبه الله من الأسرار والاستعداد للقيام بمهمته فى الحياة، وهى عبادة الله والخضوع له وحده .

فالإنسان مخلوق ذو طبيعة مزدوجة ، معنوية ومادية ، هما فى الإسلام ملاك الذات الإنسانية، تتم بهما الحياة ، وقد أولى الإسلام عنايته بهذين الجانبين المادى والمعنوى بطريقة متوازنة ، فلم يطغ الجانب المادى على الجانب المعنوى ، ولم يقلل الجانب المعنوى من شأن الجانب المادى، إنما أعطى لكل حقه بلا تفاضل ، بل فى توازن وتكامل .

فالإنسان بطبيعته المادية قادر على السعى فى الأرض ، وتعميرها وتحسينها ، واكتشاف أروع مافيهها من كنوز ونعم ، وتسخير قواها المتنوعة بإذن الله لمنفعته والنهوض بمهمته ، لذلك أولى الإسلام الاهتمام البالغ بالجسد كمكون من مكونات الطبيعة الانسانية ، فى قوته سيادة للإنسان، وفى سلامته قدرة للإنسان على أداء دوره ووظائفه فى الحياة .

ويقدر هذا الاهتمام بالجسد كان الاهتمام بالقلب والعقل والروح كجانب معنوى ، فالقرآن يشير إلى العقل ليس كمجرد مكون من مكونات الطبيعة الانسانية ، وإنما كوظيفة فهو وسيلة الإنسان إلى الحقيقة ، وإلى الإيمان بالله وكتبه ورسله ، وهو موطن تمييز الإنسان عن الحيوان . والروح ذلك المكون الذى لا يعرف الإنسان كنهه ، فقد اختص الله بعلمه ، وحجبه عن عباده جميعاً ، حتى الانبياء والرسل .

والقلب تلك المضغة التى اذا صلحت صلح الجسد كله ، فهو محل الايمان ومركز رسوخه وهو يقوم بوظائف غيره من مكونات الطبيعة الانسانية وبخاصة العقل .

أتى القرآن الكريم بهذه المبادئ والأسس ، وفصلتها السنة الشريفة التى استطاعت ترجمة الوحي إلى واقع ملموس ومشاهد ، وصار من اللازم إعمال الفكر والعقل لتحويل هذه المبادئ والأسس إلى واقع تربوى ، يستمد تصوراتهِ عن الكون والحياة والإنسان من هذين المصدرين

الإسائين ، وتنبتق منهما فلسفته الواضحة ، ويقيم تنظيماته التربوية كلها على أساس حقيقة تكامل الطبيعة الانسانية وترابطها .

أولاً : مفهوم التربية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم : -

ذكرت "التربية" بلفظها فى آيتين من آيات القرآن الكريم ، هما قوله تعالى : - "قال ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين" (الشعراء : ١٨) ، وقوله تعالى : "وقل ربى ارحمهما كما ربيانى صغيراً" (الاسراء : ٢٤) ، فى التفسير بالمأثور للأية الأولى لم يذكر معنى لفظة التربية ، وفى تفسير الآية الثانية قال أبو جعفر الطبرى : "وعنى بقوله ربيانى نبيانى" (١) .

أما فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير" (لقمان : ١٤) عن مجاهد : "يقول وعهدنا إليه أن اشكر لى على نعمى عليك ، ولوالديك تربيتهما إياك ، وعلاجهما فيك ماعالجا حتى استحکم قواك" (٢) .

والملاحظ مما سبق أن ماذكر فى تفسير "التربية" كان بمعنى النمو ، كقول الطبرى "ربيانى أى نبيانى" ، وأن هذا النمو يتعلق بمرحلة الطفولة فى حياة الانسان ، فقوله تعالى : "وليداً" فى (الشعراء : ١٨) ، وقوله تعالى : "صغيراً" فى (الاسراء : ٢٤) وقول مجاهد : "حتى استحکم قواك" فى تفسير الآية (لقمان : ١٤) ، يدل على عملية الإعداد والرعاية التى يتحمل الكبار مسئولية تقديمها للأطفال فى بداية حياتهم ، وإلى أن يصبحوا قادرين على السعى لاكتساب العلم طوال حياتهم، وحتى يصلوا إلى مرحلة الخرف وسن الهرم، ولهذا كان السعلم أكثر شمولاً من التربية من حيث استمراريته الزمنية واستفراقه مراحل عمر الإنسان كلها واتساع مجالاته فى أمور الدين والدنيا.

(١) تفسير الطبرى : ح١٥ ، ص٥٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابي نجيح عن مجاهد.

- تفسير الطبرى : ح٢١ ، ص٤٥ .

ومن جانب آخر فإن هذا لايعني توقف التربية عند مرحلة الطفولة ، لأن الانسان فى نمو مستمر ، والتربية عمليه مستمرة أيضاً ، وإذا لم يكن قد صرح باستمرار عملية التربية بعد مرحلة الطفولة فى آيات القرآن الكريم وتفسيرها بالمأثور ، فقد اتضح من خلالها شمول التربية لكل مكونات الطبيعة الانسانية فتربية الجسم ، وتربية العقل ، والتربية الخلقية ، والتربية الروحية ، لاتقتصر على مرحلة الطفولة ولايعقل أن تتوقف بعدها ، بل هى مستمرة مع الانسان وتلازمه منذ طفولته الى صباه فشبابه فكان هذا الشمول فى التربية دليل استمراريتها أيضاً ، شأنها فى ذلك شأن التعليم .

والاسلام دين يجارى الطبيعة الانسانية فى تركيبها المترابطة أجزاؤها ، والممتزجة مكوناتها، فلا فصل بينهما ، ولاتفضيل لبعض منها على الآخر ، بل الكل كيان واحد ، لذلك كانت طريقة الإسلام فى التربية هى معالجة الكائن البشرى معالجة شاملة والاهتمام بالقيام بإصلاح أمره فيما يتعلق به جسماً وعقلاً وخلقاً ، فرداً ومجتمعاً بغيره ، وفيما يتعلق بعلمه وعمله وكل نشاطه على الأرض ...

ثانياً : الجوانب الشمولية فى التربية :

من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم يمكن توضيح بعض جوانب شمول التربية لمكونات الطبيعة الإنسانية .

١ - التربية الجسمية :

يعترف الاسلام بالطاقة الحيوية المنبعثة من الجسم ، ويتجه إلى تربيتها بالتنظيم والتهذيب لابلالكبت والقمع ، لذلك دعا إلى التمتع بنعم الله التى أحلها لعباده ، ونهى عن تحريمها ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق" (الاعراف : ٣٢) فسرها ابن عباس بالقرآن ، قال : "إن الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من

التياب وغيره ، وهو قول الله "قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً " وهي الآية (يونس : ٥٩) وعن قتادة "قل من حرم زينة الله" ... قال هو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام" (١) .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إن لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون" (البقره : ١٦٨ - ١٦٩) عن السدى قال أما السوء فالمعصية وأما الفحشاء فالزنا وأما قوله وأن تقولوا على الله مالا تعلمون فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى ويزعمون أن الله حرم ذلك ، فقال الله تعالى ذكره لهم "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون" (٢) وهي الآية (المائدة : ١٠٣) وما يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك عن أبى اسحق قال سمعت أبا الأحوص عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل تنتج أبل قومك صحاحاً أذاتها فتعمد إلى موسى فتقطع أذاتها فتقول هذه بحر ، وتشقها أو تشق جلودها فتقول هذه حرم فتحرمها عليك وعلى أهلك . قال نعم ، قال : فإن ما أتاك الله حل لك ، وساعد الله أشد ، وموسى الله أحد" (٣) .

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال سعيده عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ح ٨ ، ص ١٢١ .

(٢) عن السدى (سنده) : "حدثنى موسى بن هارون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى" .

- تفسير الطبرى : ح ٢ ، ص ٤٦ .

(٣) عن أبى اسحق (سنده) : "حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق" .

- تفسير الطبرى : ح ٧ ، ص ٥٦ .

وكما أحل الله للناس من الطعام والشراب ما ينفعهم ويفيد أجسامهم ، فإنه قد حرم ما يؤذيهم ويضر بأجسامهم ، قال تعالى : "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير" (البقرة : ١٧٣) قال ابن كثير فى تفسيره : "ولما امتن تعالى عليهم برزقه وأرشدهم إلى الأكل من طيبه ، ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا الميتة وهى التى تموت حتف أنفها من غير تذكية وسواء كانت منخنقة أو موقوذة أو متردية أو نطيحة أو عدا عليها السبع ، وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر لقوله تعالى : "أحل لكم صيد البحر وطعامه". وفى المسند والموطأ والسنن قوله عليه الصلاة والسلام فى البحر" هو الطهور ماؤه الحل ميتته" وروى الشافعى وأحمد وابن ماجه والدارقطنى حديث ابن عمر مرفوعاً "أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال ، وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكى أو مات حتف أنفه ويدخل شحمه فى حكم لحمه"^(١) ، وهذه المحرمات ثبت ضررها بالإنسان وإن لم يكن قد صرح به فى التفسير بالمأثور لهذه الآيات.

وماتيين بشأن الطعام والشراب ينطبق على سائر احتياجات جسم الانسان وشهواته ، فقد توجهت إليها التربية الاسلامية بالتنظيم والتهذيب من خلال أطر محددة تحلل له ما يفيد وينفعه منها ، وتحرم عليه ما يضره ويؤذيه .

وتحرص التربية الجسمية فى الإسلام على تنمية عادات العناية بالنظافة الشخصية للمسلم، والحرص على طهارة جسمه ويتمثل ذلك فى فرض الغسل والوضوء قبل الصلاة ، يقول تعالى: "ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون" (المائدة : ٦) قال أبو جعفر الطبرى : "ولكن الله يريد أن يطهركم بما فرض عليكم من الوضوء من الإحداث، والغسل من الجنابة، والتميم عند عدم الماء، فتتنظفوا لتطهروا بذلك أجسامكم من الذنوب"، ويعنى ذلك أن فى نظافة الجسم بالوضوء والغسل تطهيراً للنفس من الذنوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من توضأ فأحسن الوضوء

(١) تفسير ابن كثير : ج ١ ، ص ٢٠٥ .

ثم قام الى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مامن رجل يتوضأ فيغسل وجهه الا خرجت خطاياها من وجهه، وإذا غسل يديه أو ذراعيه خرجت خطاياها من ذراعيه ، فإذا مسح رأسه خرجت خطاياها من رأسه ، وإذا غسل رجليه خرجت خطاياها من رجليه" (١) .

وكلما زاد المسلم وأفاض في الوضوء زاد تطهيره من الذنوب وتخلصه منها ، عن حمران مولى عثمان قال : أتيت عثمان بن عفان بوضوء وهو قاعد فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ كوضوئي هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه. (٢)

وطهارة الجسم كما تطهر المسلمين من الذنوب فهي أيضاً تذهب عنهم وسوسة الشيطان وتثبت أقدامهم، ففي التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "إذ يغشيكم النعاس أمانة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام" (الأنفال : ١١)

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنا أبو كريب ومحمد بن المثنى ويحيى بن داود الواسطي قالوا

حدثنا إبراهيم بن يزيد القرشي قال أخبرنا رقبه بن مصقلة العبدي عن شمر بن

عطيبة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان بن منصور عن

سالم بن أبي الجعد عن كعب بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- تفسير الطبري : ج٦ ، ص ٨٩ .

(٢) عن حمران مولى عثمان : "حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا علي بن عياش قال ثنا أبو غسان قال ثنا زيد

بن اسلم عن حمران مولى عثمان" .

- نفس المرجع .

عن السدى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فسبقهم المشركون الى ماء بدر فنزلوا عليه وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر فانطلقوا فنزلوا على أعلى الوادى ونزل محمد صلى الله عليه وسلم فى أسفله فكان الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجنب فلا يقدر على الماء فيصلى جنباً فألقى الشيطان فى قلوبهم فقال كيف ترجون أن تطهروا عليهم وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء قال فأرسل الله عليهم المطر فاغتسلوا وتوضؤوا وشربوا واشتدت لهم الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم" (١) .

والله يحب المتطهرين كما قال تعالى : "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة : ٢٢٢) عن عطاء أن الله يحب التوابين من الذنوب لم يصيبوها ويحب المتطهرين بالماء للصلاة" (٢) .

كما أثنى الله على المتطهرين الحريصين على نظافة أجسامهم فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين" (التوبة : ١٠٨) ، عن الشعبى قال لما نزلت "فيه رجال يحبون أن يطهروا" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء ما هذا الذى أثنى الله عليكم ، قالوا : مامنا من أحد ألا وهو يستنجى من الخلاء . وعن الحسن قال لما نزلت هذه الآية ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى ذكركم الله به فى أمر الطهور فأثنى به عليكم ، قالوا نغسل أثر الغائط والبول، وعن مسلم القرى قال : قلت لابن عباس أصب على رأسى وهو محرم قال ألم تسمع الله يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. (٣) .. وهكذا اتجهت التربية الإسلامية الى ترغيب الانسان فى

(١) عن السدى (سنده) : "حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى .

- تفسير الطبرى : ح ٩ ، ص ١٣٠ .

(٢) عن عطاء (سنده) : "حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن طلحة بن عمرو عن عطاء" .

- تفسير الطبرى : ح ٢ ، ص ٢٣١ .

(٣) عن الشعبى (سنده) : "حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن داود بن ليلى عن الشعبى" .

عن الحسن (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال اخبرنا ابن المبارك عن هشام بن حسام عن الحسن .

عن مسلم القرى "حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شيا به بن سوار عن شعبة عن مسلم القرى .

- تفسير الطبرى : ح ١١ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

الطهارة الحسية بعقد الصلة بينها وبين التطهر من الذنوب والتخلص من وسوسة الشيطان والفوز بمحبة الله وثنائه على المتطهرين .

ويرتبط بنظافة الجسم طهارة الثوب ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وثيابك فطهر" (المدثر : ٤) تعددت الأقوال فمن قائل طهرها من الإثم أو من المعاصى أو من الذنوب ، ومن قائل أصلح عملك ، وقال آخرون بل معنى ذلك أغسلها بالماء وطهرها من النجاسة ، عن محمد ابن سيرين "وثيابك فطهر" قال أغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان المشركون لا يتطهرون فأمر أن يتطهر ويظهر ثيابه، ثم قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن سيرين وابن زيد فى ذلك أظهر معانيه" (١) .

وضرب الله مثلاً يحض المسلمين على النظافة ، إذ جعل فيها درءاً للأمراض وشفاء منها ، وفى قصة أيوب يقول تعالى : "اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" (ص : ٤٢) عن قتادة قال ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى ، وعن وهب بن منبه قال فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها واغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء" (٢) . ومع ذلك فإن الإنسان يجب أن يرضى بما قد يصيب جسمه من سقم أو مرض ، لأنه قدر كتبه الله له من قبل أن يخلقه، وقد يعفو الله به عن بعض ذنوبه ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله

(١) عن محمد بن سيرين (سنده) : "حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا على بن عبد الله بن جعفر عن أحمد بن موسى

بن أبى مريم عن ابن عون عن محمد بن سيرين" .

- عن ابن زيد (سنده) : "حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد .

- تفسير الطبرى : ج ٢٩ ، ص ٩٢ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- عن وهب بن منبه (سنده) : - "حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمه عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن

منبه .

- تفسير الطبرى : ج ٢٣ ، ص ١٠٧ .

يسير" (الحديد : ٢٢) ، عن قتادة قال : أما مصيبة الأرض فالسنون، "ولافى أنفسكم" قال الأوجاع والأمراض ، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولانكبة قدم ولاخلجان عرق إلا بذنب ومايعفو الله عنه أكثر" (١) .

ويتجلى الاتجاه الاسلامى الى تربية الجسم فى النهى عن الركون إلى الكسل واستمراء الحصول على الثمرة بدون عمل، وفى الدعوة إلى العمل الصالح والحث عليه باثبات جزائه وثوابه فيما زاد عن الثمانين أية من آيات القرآن الكريم ، كما فى قوله تعالى: "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً" (النساء : ١٢٤) "ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب" (غافر : ٤٠) ويلاحظ فى الأيتين أن العمل الصالح قد ارتبط بالإيمان ، وقد جاء فى معنى الإيمان مايتفق مع الدعوة إلى العمل الصالح قال أبو جعفر : "فى تفسير قوله تعالى : "الذين يؤمنون بالغيب" (البقرة : ٣) : إن الإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل (٢) .

ويحرص الاسلام على سلامة جسم الإنسان ليصير قوياً، ويستخدم قوته هذه فى البناء وتعمير الأرض والعمل الخير لأن يستخدمها فى البطش بالناس وإيذائهم ولافى ترويع الآمنين من عباد الله.

٢ - التربية العقلية :

العقل ميزة عظيمة ميز الله بها الإنسان ، ورفع من قدره بين المخلوقات جميعاً ، وأثبت الله له هذا التميز منذ بداية الخليقة ، فكان أعمال العقل من أوائل الممارسات التى بدأ بها آدم حياته، كما فى قوله تعالى : "وعلم آدم الأسماء كلها" و "قال يا آدم انبئهم بأسمائهم" (البقرة : ٣١ - ٣٣).

(١) عن قتاده (سنده) : "حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة" .

- تفسير الطهرى : ج٢٧ ، ص ١٣٥ .

(٢) تفسير الطهرى : ج١ ، ص ٧٨ .

وهذا العقل الذى وهبه الله للإنسان جعله جديراً بغاية التمجيد ، قال تعالى : "إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" (البقرة : ٣٤) قال أبو جعفر الطبرى : "قال جل ذكره اذكروا فعلى بكم إذ اكرمت أباكم آدم بما أتيته من علمى وفضلى وكرامتى وإذ اسجدت له ملائكتى فسجدوا له. (١)

وفى آيات القرآن الكريم حث دائم للإنسان على إعمال عقله بالتأمل والتفكير للوصول إلى الحقيقة واليقين ، ولم يتضمن القرآن حكماً من الأحكام يعوق حركة العقل فى تفكيره ، أو يحول بينه وبين طلب العلم والاستزادة منه ، بل لقد بين الله للناس أن سبب الضلال والانحراف عن طريق الدين المستقيم هو عدم العمل بمقتضى هدى العقل السليم ، فى تفسير قوله تعالى : "وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير" (الملك : ١٠) قال ابن كثير فى تفسيره : "أى لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتزاز به ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا الى اتباعهم. (٢)

بينما فهم المؤمنون ووعوا ما جاءتهم به الرسل لأنهم أعملوا عقولهم فعلموا أنه الحق من ربهم، قال تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون" (العنكبوت : ٤٣) وفيها قال أبو جعفر الطبرى : "يقول تعالى ذكره وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً إلا العالمون بالله وآياته" (٣) .

وبإعمال العقل فى التدبر والتفكير فى الكون والتأمل فى مخلوقاته يصل الإنسان الى استنتاج حقيقة الوجود الإلهى وسنته فى خلقه، قال تعالى: "إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لأيات لأولى الأبواب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون

(١) تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ١٧٧ .

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ٣٩٧ .

(٣) تفسير الطبرى : ج ٢٠ ، ص ٩٨ .

فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار" (آل عمران : ١٩٠ :
١٩١) وفى تفسيرها يقول أبو جعفر الطبرى : "تدبروا أيها الناس واعتبروا ففىما انشأته فخلقته من
السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم وفىما عقبته بينه من الليل والنهار فجعلتهما
يعتقبان عليكم، تتصرفون فى هذا لمعاشكم وتسكنون فى هذا لراحة أجسامكم ، معتبر ومذكر
وأيات وعظات ، فمن كان ذا لب وعقل يعلم أن ذلك كله بيدى ألقبه واصرفه ، ولو أبطلت ذلك
لهلكتم، وأصحاب العقول الذين يذكرون الله فى كل وقت ويعتبرون بصنعة صانع ذلك فىعلمون أنه
لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثل شىء، ومن هو خالق كل شىء لحكمة وينزهون لله أن يفعل شىئاً
عبثاً. (١)

وتتجه التربية العقلية فى الإسلام إلى الحرص على سلامة العقل والنهى عن كل ما يسبب له
الضرر والإيذاء ، ومن ذلك تحريم شرب الخمر لما فىها من إذهاب للعقل وتضييع له ، وفى التفسير
بالمأثور لقوله تعالى : "يسألونك عن الخمر والميسر قل فىهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر
من نفعهما ؛ (البقره : ٢١٩) ، ذكر الإمام أحمد فى مسنده عن عمر ابن الخطاب : - لما نزل تحريم
الخمر قال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فنزلت هذه الآية فى سورة البقرة ، قال فدعى
عمر فقرئت عليه ، فقال اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التى فى سورة النساء
"يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى" فكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران ، فدعى عمر فقرئت عليه ، فقال اللهم بين لنا فى
الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التى فى المائدة ، فدعى عمر فقرئت عليه ، فلما بلغ "فهل أنتم
منتهون" قال : فقال عمر : انتهينا انتهينا" (٢) .

(١) تفسير الطبرى : حء ص ١٤٠ .

(٢) عن عمر بن الخطاب (سنده) : "حدثنا خلف بن الوليد حدثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن ميسرة عن عمر بن الخطاب .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ١٠ ، رقم ٣٧٨ ، ص ٣١٦ .

وهكذا تؤكد تحريم الخمر قطعياً في قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون" (المائدة : ٩٠ - ٩١) ، وقال ابن كثير "وزاد ابن ابي حاتم بعد قول عمر انتهينا ، إنها تذهب المال وتذهب العقل. (١)

وفي قوله تعالى : "قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس" (البقرة : ٢١٩) قال ابن كثير : "أما اثمها فهو في الدين ، وأما المنافع فدنيوية من حيث أن فيهما تهضيم الطعام ، وتشحيد بعض الأذهان ، وكذا بيعها والانتفاع بثمنها ، ولكن هذه المصالح لاتوازي مضرتة ومفسدته الراجعة لتعلقها بالعقل والدين ولهذا قال تعالى : "وإثمها أكبر من نفعها" (٢) .

فقد ميز الله الانسان بالعقل ، ورفع من قدره به بين المخلوقات جميعاً ، وفي التربية الإسلامية حث دائم للإنسان على إعمال العقل ، بالتأمل في الكون ، والتفكير في مخلوقات الله للوصول إلى الحقيقة ، واليقين بالوجود الإلهي وسنته في خلقه ، وتتجه التربية العقلية في الإسلام إلى الدعوة إلى طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، وإدراك قيمة العلم في صقل العقل وتنويره، وتخليصه من الانقياد للسابقين ، وتحريره من التبعية للموروث من المعتقدات الباطلة والتقاليد الفاسدة ، حتى يرقى الإنسان إلى المكانة التي تليق بأدميته ولايتساوى بالبهائم التي لاتعى شيئاً.

(١) تفسير ابن كثير : ج١ ، ص ٢٥٥ .

(٢) نفس المرجع .

٣ - التربية الخلقية :

وهى من الجوانب التربوية التى تتضح فيها النظرة الإسلامية التكاملية للطبيعة الإنسانية ،
ففى التربية الخلقية فى الإسلام تعديل لسلوك الإنسان ، وإصلاح لأمر مكونات ذاته الإنسانية
مجتمعه، قال أبو جعفر : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان نزل القرآن بمكارم الاخلاق
ألم تسمعه يقول لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون"^(١) وهى الآية (الأنبياء : ١٠).
ولاتقتصر التربية الخلقية فى الإسلام على تطهير النفوس من الأفعال التى تسيىء إلى الفرد
والمجتمع المسلم وذلك بالنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وإنما تتجه إلى تزكية النفوس بانماء قيم
أخلاقية جديدة وترسيخها فى نفس المؤمن وذلك بالأمر بالفضائل والدعوة إلى كل ما فيه خير
المجتمع المسلم .

ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون" (النحل : ٩٠) عن ابن عباس قال العدل شهادة أن
لا إله إلا الله ، والإحسان الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى فى الشدة والرخاء وذلك هو أداء
فرائضه وإيتاء ذى القربى اعطاء ذى القربى الحق الذى أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم^(٢)
فهذا مما أمر الله به .

والفحشاء فى هذا الموضع الزنا، وعنى بالبغى فى هذا الموضع الكبر والظلم، قال أبو جعفر:
"وقد ذكر عن ابن عيينه أنه كان يقول فى تأويل ذلك أن معنى العدل فى هذا الموضع استواء
السريرة والعلائية من كل عامل لله عملاً، وأن الفحشاء والمنكر أن تكون علائته أحسن من سريرته

(١) تفسير الطبرى : ج ١٧ ، ص ٦ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى وعلى بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن

عباس" .

- تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ١٠٩ .

عن عبد الله مسعود : إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر آية في سورة النحل " ان الله يأمر.. بالعدل والاحسان.. " وعن قتادة قال انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به يستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سييء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها. (١)

فقد نهى الله المؤمنين عن التخلق بأخلاق المنافقين ، فقال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين" (النساء : ١٤٤) قال أبو جعفر الطبري : "هذا نهى من الله عباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيكون مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاته أعدائه، (٢) ويكون لهم نفس جزاء المنافقين، "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً" (النساء : ١٤٥) .

وكان الله يأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالأخلاق الفاضلة ليكون قدوة لسائر المسلمين، ففي التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" (الاعراف : ١٩٩) عن أبي بن كعب قال لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال أن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك . وعن قتادة قوله "خذ العفو..." قال أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها. (٣)

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبي عن شقير بن شكل عن

عبد الله بن مسعود" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- تفسير الطبري : ح ١٤ ، ص ١٠٩ .

(٢) تفسير الطبري : ح ٥ ، ص ٢١٦ .

(٣) عن أبي بن كعب (سنده) : "حدثني يونس قال اخبرنا سفيان عن أبي بن كعب .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- تفسير الطبري : ح ٩ ، ص ١٠٤ .

ومن الأخلاق الفاضلة التي أعطى بها النبي صلى الله عليه وسلم القدوة للمسلمين ما ذكره الإمام أحمد في مسنده عن عثمان بن عفان كان يخطب في الناس فقال : إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنازتنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير. (١)

وفي التربية الأخلاقية في الإسلام نهى عن الاندفاع في الغضب ودعوة إلى التروى والحلم. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب، قال : "وإما ينزغنيك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم" (٢) (الأعراف : ٢٠٠) وفي التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون" (الأعراف : ٢٠١) عن سعيد بن جبيرة قال هو الغضب ، وعن ابن عباس فإذا هم مبصرون يقول إذا هم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان" (٣) .

ومما جاء في النهي عن الغضب والدعوة إلى الحلم والصبر في التفسير بالمأثور لقوله تعالى :
"فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم" (القلم : ٤٨) عن قتادة قال لا تكن

(١) عن عثمان بن عفان (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عباد بن زاهر أبا رواع قال سمعت عثمان بن عفان يخطب في الناس .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج ١ ، رقم ٥٠٤ ، ٣٧٨ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سنده) حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- تفسير الطبري : ج ٩ ، ص ١٠٤ .

(٣) عن سعيد بن جبيرة (سنده) : "حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالنا ثنا ابن يمان عن اشعث عن جعفر عن سعيد بن جبيرة" عن ابن عباس (سنده) : "حدثني محمد بن سعد قال ثنا أبي قال حدثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس"

- تفسير الطبري : ج ٩ ، ص ١٠٧ .

كصاحب الحوت لا تكن مثله فى العجلة والغضب فلا تعجل كما عجل ولا تغضب كما غضب^(١) وهذا درس من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى أسلوب تربيته قصصى يحكى قصة يونس بن متى الذى حبس فى بطن الحوت عقاباً من الله على تركه تبليغ ما أمره، وذلك حتى يصبر ولا يثنيه على ما أمره الله بتبليغه تكذيبهم إياه وأذاهم له .

ومن الاخلاق الحسنة التى تتجه إليها التربية فى الرسال ما جاء فى قوله تعالى : "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها" (النحل : ٩١) عن نافع بن زيد قال سألت يحيى بن سعيد عن قوله ولا تنقضوا الأيمان قال العهود"^(٢) ، توسلت التربية الأخلاقية الإسلامية فى هذه الدعوة وسيلة تربية أخرى هى ضرب الأمثال ، فقد قال تعالى : "ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً" (النحل : ٩٢) قال أبو جعفر : عن قتاده قال فلو سمعتم بأمرأه نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم ما أحق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده"^(٣) ، مما يؤكد ضرورة الالتزام بالوفاء بالوعد ، واعتباره مبدأ خلقياً ينبغى التمسك به .

والإخاء الإنسانى من أهم ما تحرص التربية الخلقية فى الإسلام على أن توثق به علاقة المسلمين بعضهم ببعض ، فالإنسانى من أهم ما تحرص التربية الخلقية فى الإسلام على أن توثق به علاقة جلياً فى مواطن كثيرة بالقرآن الكريم .

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ح ٢٩ ، ص ٢٨ .

(٢) عن نافع بن زيد (سنده) : "حدثنى ابن البرقى قال ثنا ابن ابى مريم قال اخبرنا نافع بن زيد قال سألت يحيى بن

سعيد" .

- تفسير الطبرى : ح ١٤ ، ص ١١١ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- نفس المرجع .

ومن ذلك ما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ،
(الليل : ٥ - ٦) عن ابن عباس فأما من أعطى ما عنده من الفضل واتقى ربه وقوله وصدق بالحسنى
يقول وصدق بالخلف من الله" (١) أى أن الله سيخلف له ، وذكر الإمام أحمد فى مسنده عن عثمان
بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الله رجلاً الجنة كان سهلاً مشترياً وبائعاً
وقاضياً ومقتضياً" (٢).

ومما بوضع ذلك أيضاً الدعوة إلى الإحسان الشامل للوالدين والأقارب وجميع الناس ، كما
جاء فى تفسير قوله تعالى : "وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً
وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً" (البقره / ٨٣) قال أبو جعفر الطبرى : "الإحسان
الذى أخذ عليهم بالوالدين الميثاق نظير ما فرض الله على أمتنا لهما من فعل المعروف والقول
الجميل ، وخفض جناح الذل رحمة بهما . والتحنن عليهما والرفقة بهما ، وأن يصلوا رحمه ،
ويتعطفوا على اليتامى بالرحمة والرفقة وأن تؤتوا المساكين حقوقهم التى ألزمها الله أموالكم وقوله
"قولوا للناس حسناً" قال أبو جعفر الحسن لئن القول من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو
ما ارتضاه الله وأحبه. (٣)

وصلة الرحم من أوجه الإحسان للأقارب ، الذى حثت عليه آيات القرآن الكريم وأكدت سنة
النبي صلى الله عليه وسلم ، ومواقف الصحابة والتابعين . فقد اشتكى أبو الرداد فعاده عبد
الرحمن بن عوف ، فقال أبو الرداد : خيرهم وأوصلهم ما علمت أبو محمد أو قال أبا محمد فقال

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا ابن المنثى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا خالد بن عبد الله .

عن داود بن أبى هند عن عكرمه عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى : ج ٣٠ ، ص ١٤٠ .

(٢) عن عثمان بن عفان (سنده) : "حدثنا يونس قال ثنا عطاء بن فروخ مولى القرشيين عن عثمان بن عفان" .

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج ١ ، رقم ٥٠٨ ، ص ٣٧٩ .

(٣) تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ٣١١ .

عبد الرحمن بن عوف : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها تبته" (١) .

ومن مواقف الصحابة والتابعين ما يبين أن عيادة المريض من أوجه الإحسان للناس جميعاً فيها تتحقق المشاركة الوجدانية بين المسلمين ويزداد ترابطهم الأخوي ، فقد جاء أبو موسى إلى الحسن بن عليّ يعبده ، فقال عليّ : أعائداً جئت أم شامتاً؟ قال : لا بل عائداً ، قال فقال عليّ : ان كنت عائداً فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا عاد الرجل أخاه المسلم ، مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة ، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح" (٢) فعيادة المرضى وصله الرحم والبر بالوالدين كلها من صور الإحسان الذي دعا الإسلام إلى الالتزام به كسمة خلقه يتميز المسلم بها .

لقد ظهرت النظرة الإسلامية التكاملية للطبيعية الإنسانية بوضوح في اتجاه التربية الاخلاقية إلى تعديل سلوك الانسان وإصلاح أمر مكونات ذاته الإنسانية مجتمعه ، بدعوة الإنسان إلى طاعة الله وأداء فرائضه عن إيمان و يقين، وضبط النفس بالتروى والحلم، والصبر في الشدة والرخاء ، وحماية الجسد من الضرر بنبذ الفحشاء والمنكر ، كما نهت عن البغى والتخلق بأخلاق المنافقين .

(١) عن عبد الرحمن بن عوف (سنده) : "حدثنا سفيان عن الزهري عن ابي سلمة قال" : "اشتكى أبو الرداد

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، ج٣ ، رقم ١٦٨٦ ، ص ١٤١ .

(٢) عن علي بن ابي طالب (سنده) : "حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن الحكم بن عتيبه عن عبد الرحمن بن ليلى

قال : "جاء أبو موسى إلى الحسن بن عليّ يعبده

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج٢ ، رقم ٦١٢ ، ص ٤٢ .

ولم تقتصر التوجهات التربوية فى الإسلام على بث الأخلاق الفاضلة فى نفس المسلم باعتباره فرداً منفرداً عن الآخرين ، وإنما نظرت إليه كعضو فى جسد واحد ، فحرصت على توثيق علاقة المسلمين بعضهم ببعض بالحث على العطاء والبذل ، وتفريغ الكرب والتيسير والسماحة ، والالتزام بالوفاء بالوعد ، والدعوة إلى الإحسان للوالدين وصلة الرحم وعبادة المرضى ، والعطف على الفقراء والمساكين ، وكل أوجه الإحسان الشامل للناس جميعاً ، وأيسر السبل لتحقيق ذلك اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة فى التحلى بالأخلاق الفاضلة .

٤ - التربية الروحية : -

من النادر أن يوجد كمال فى النفس أو حسن فى السلوك أو قدرة على التعامل العاقل ، إلا إذا وجدت تربية روحية صافية ، ذلك لأن مفاتيح النفس البشرية إنما هى فى هذه التربية التى استمدت من القرآن الكريم ومن الرسول صلى الله عليه وسلم أصولها ووسائلها فى تربية النفس الإنسانية وتزكيتها .

والتربية الروحية هى القدرة على إيجاد الإنسان على صورة من صور الكمال الانسانى ، فهو يقوم بفرائض العبودية الواجبة عليه ، فالعبادة هى الخضوع لله بالطاعة ، والإقرار بالربوبية والألوهية لله وحده دون سائر خلقه ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون" (البقرة : ٢١) عن ابن عباس قال : "قال الله أيها الناس اعبدوا ربكم أى وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم" (١) .

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن محمد بن ابي محمد عن عكرمة

أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس" .

- تفسير الطهرى : ج١ ، ص ١٢٥ .

والعبادة صلة دائمة بالله وقربى منه ، فقد سئل ابن عباس عن تفسير قوله تعالى : "قل لأسألکم عليه أجراً إلا المودة فی القربى" (الشورى : ٢٣) ، فقال سعيد بن جبیر : قریب آل محمد ، قال ابن عباس : عجلت ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة" (١) أى وصل القرابة مع الله بالصلاة والعبادة .

والله تعالى يتقبل عبادة المؤمن الصادق وصلاته ، ولا يضيع ثوابه عليها أبداً ، ذكر في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وما كان الله ليضيع إيمانكم" (البقرة : ١٤٣) ، قال ابن عباس : "لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة ، قالوا كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك وهم يصلون نحو بيت المقدس ، فأنزل الله تعالى : وما كان الله ليضيع إيمانكم" (٢) ، فلا يضيع عند الله أجر المؤمن الصادق عن عمله الصالح مهما كانت ظروفه .

والإيمان هو تصديق القلب وإذعانه مع عمل الجوارح بمقتضيات ذلك، فالإيمان الكامل الذى وقر فى القلب وصدق العمل ، فإذا أسلم قلب الإنسان وجوارحه فى كل ما كلفه الله به ظاهراً وباطناً فذلك المسلم الحق ، قال تعالى : "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقساية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين" (الزمر : ٢٢) ، وهذه الآية الكريمة فسرها ابن كثير بالقرآن الكريم ، قال : أى هل يستوى هذا ، ومن هو قاسى القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل :

(١) سئل ابن عباس (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن عبد الملك ابن ميسرة قال سمعت طواساً قال: سئل ابن عباس .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ح ٤ ، رقم ٢٥٩٩ ، ص ٢٠٥ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا أبو كريم قال ثنا وكيع وعبيد الله وحدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبيد الله بن موسى جميعاً عن اسراييل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى : ح ٢ ، ص ١١ .

ورواه الإمام أحمد عن شاذان عن اسراييل إلى آخر الإسناد .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند : مرجع سابق ، ح ٤ ، رقم ٢٦٩١ ، ص ٢٤١ .

"أر من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها؟" (الأنعام : ١٢٢) ولهذا قال تعالى : "قويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله" أى فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعى ولا تفهم" أولئك فى ضلال مبين" (١) .

فالمسلم الحق يعرف ماهية دين الله ، ويعرف واجبه وينفذه سلباً أو إيجاباً ، تنفيذاً لأمر أو انتهاء عن نهى ، فيكون من المؤمنين المتقين ، فالتقوى هى الايمان بالله وطاعته والخوف من عقابه باجتنا نواهيه ، والتقوى هى العمل الصالح ، ففى تعريف لباس التقوى فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سواتكم ولباس التقوى ذلك خير" (الأعراف : ٢٦) عن قتادة قال : "لباس التقوى هو الإيمان" ، بينما قال ابن عباس : "لباس التقوى العمل الصالح" (٢) ، والقولان المأثوران فى تفسير لباس التقوى يتكاملان ، فقد ذكر الإيمان والعمل الصالح مقترنان فيما يقرب من الستين آية قرآنية(*) .

وتتحقق التقوى إذا كان العمل صالحاً مقصوداً به وجه الله تعالى خالصاً له، لذلك نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن القيام فى المسجد الذى اتخذ ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وأخبره أن الأحق بالقيام فيه هو المسجد الذى أسس على التقوى، وهو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون ، لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ... " (التوبة : ١٠٧ : ١٠٨)

(١) تفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ٥٠ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد بن ابى عروة عن قتادة".

عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبه عن ان عباس".

- تفسير الطبرى : ج ٨ ، ص ١١٠ .

(*) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٤١٠ ، ٤١١ مادة ص ل ح .

عن ابن عباس قال : هم أناس من أهل النفاق من الأنصار ابتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر الراهب ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فاتى بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه . فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحب أن تصلى فيه ، وتدعو لنا بالبركة فأنزل الله تعالى فيه : "لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه" (١) .

ولقد أمر الله بالتقوى فى الكثير من آيات القرآن الكريم ، وجاء الأمر بها موجهاً للمؤمنين خاصة، كما وجه للناس عامة ، ومن الآيات التى توجهت بالأمر بالتقوى إلى المؤمنين قوله تعالى : -

"يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله" (الحديد : ٢٨) .

"يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (التوبة : ١٩) .

"يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً" (الاحزاب : ٧٠) .

"يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا" (البقرة : ٢٧٨) .

ثم يعمم الأمر بالتقوى ليشمل الناس جميعاً كما فى قوله تعالى :

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة" (النساء : ١) .

"يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم" (الحج : ١) .

"يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده" (لقمان : ٣٣) .

والتأمل للآيات السابقة يلحظ أمرين هما : -

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : ١١ ، ص ١٩ .

أولاً : إن نداء المؤمنين اقترن بذكر لفظ الجلالة الله "اتقوا الله" ، بينما اقترن نداء عامة الناس بذكر لفظ الجلالة ربكم "اتقوا ربكم" ، فالمؤمنون قد ألهموا الله الإلهة وعبدوه العبادة ، وقد عرُفت الألوهية بأنها العبادة" (١) بينما عامة الناس فمنهم من لم يهتد إلى تأليه الله وعبادته بعد ، فقبل ربكم - والله أعلم .

ثانياً: اقترن أمر المؤمنين بالتقوى بالدعوة إلى أمور هي من سبيل التقوى كالدعوة إلى طاعة الله بالإيمان برسوله الصادق الأمين ، وتعزيزه وتأييد المسلمين ، والمحرص على القول الحكيم الصائب، والنهي عن الريا .

بينما اقترن أمر عامة الناس بالتقوى بالتخويف والتحذير من يوم الحساب وبوعيد المشركين بسوء العذاب . وقد يكون هذا تأكيداً لمفهوم التقوى بأنه طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهذا يلائم المؤمنين ، وبأنه التخويف من عقاب الله وخشيته عذابه ، وهذا يناسب الذين لم يهتدوا إلى الإيمان من الناس .

ويترتب على عمل المسلم في الإسلام أن يتنور القلب ، ويزداد نور الإيمان فيه ، وكلما زاد في العمل ازداد نور الايمان حتى يرتقى القلب إلى مقام الإحسان ، "عن ابن عمر عن أبيه قال : جاء جبريل صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ما لإسلام ؟ فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، قال : فإذا فعلت فأنا مسلم ؟ قال : نعم ، قال: صدقت . قال : فما الإحسان ؟ قال : تخشى الله تعالى كأنك تراه، فإن لم تك تراه فإنه يراك . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال نعم . قال : صدقت ، قال : فما الإيمان ؟ قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وألبعث من بعد الموت، والجنة والنار، والقدر كله . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال : نعم ، قال : صدقت" (٢) .

(١) تفسير الطبري : ج١ ، ص٤١ .

(٢) عن ابن عمر عن أبيه (سنده) : "حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا علي بن زيد عن يحيى بن يعمر قال قال ابن عمر عن أبيه" .

- الامام أحمد بن حنبل : المسند : ج٨ ، رقم ٥٨٥٦ ، ص١٦٦ .

لقد وضع الله تعالى لعباده أنه سيكون أمام الإنسان طريقين ، وعليه أن يختار واحداً منهما، وهو يعلم مالكل من الطريقين من جزاء وعقاب ، فيتعلق مصيره فى الآخرة بطبيعة عمله فى الدنيا ، وفى تفسير قوله تعالى : "من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون" (الجاثية : ١٥) قال الطبرى : "من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره وانزجر لنهيته، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل وطلب خلاصها من عذاب الله . ومن أساء عمله فى الدنيا يعصيته ربه وخلافه فيما أمره ونهيته فعلى نفسه حتى لأنه أوقفها بذلك واكسبها به سخط الله . ثم إلى ربكم تصيرون فيجازى المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته" (١) .

ويتفق هذا مع ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون" (الجاثية : ٢١) عن قتادة قال : لعمرى لقد تفرق القوم فى الدنيا وتفرقوا عند الموت فتباينوا فى المصير" (٢) ، ويتعلق هذا التباين باختيار الانسان لنوع عمله فى الحياة الدنيا والذي سيحدد نوع جزائه ومصيره فى الآخرة .

وهكذا يكون الانسان صاحب الاختيار مسئولاً وحده عن اختياره، فلا يتمكن من التنصل منه، ولأن يلقى تبعه عمله الذى ظهر فى غير صالحه على أحد غيره ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير" (فاطر : ١٨) ، عن قتادة قال : من يعمل صالحاً فإنما يعمل لنفسه وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس مؤمنكم وكافرکم وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر" (٣) .

(١) تفسير الطبرى : ج٢٥ ، ص٨٧ .

(٢) عن قتادة (سند) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج٢٥ ، ص٨٩ .

(٣) عن قتادة (سند) : نفس الاستاد السابق .

- تفسير الطبرى : ج٢٢ ، ص٨٤ .

فالانسان مسئول عن أعماله مسئولية شخصية ، حيث لا يشاركه أحد حمل تبعاتها ، وهي مسئولية فردية ، فلا يملك شخص ولاجماعة كاملة درء ماحاق بالانسان من عذاب جزاء ذنوبه وسيناته التي تفرد وحده بارتكابها مختاراً وليس مجبراً ، وفي تفسير قوله تعالى : "وكلهم آتية يوم القيامة فرداً" (مریم : ٩٥) ، قال أبو جعفر الطبري : "وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً لانصر له من الله ولادافع عنه،^(١) وعن ابن عباس في قوله تعالى : "ولاتزر وأزره وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى" (فاطر : ١٨) ، قال : "يكون عليه وزر لا يجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً"^(٢) .

ولأن الانسان مسئول عن عمله فقد أعطاه الله حرية اختيار نوع هذا العمل ، ولكنه لم يسمح له أن يعيث في الأرض فساداً باسم هذه الحرية . بل لقد وضع الله تعالى لهذه الحرية حدوداً ، عرف بنى آدم بها ، ووضحها لهم في كتبه السماوية ، وحذرهم من تجاوزها ، وفي التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون" (البقرة : ٢٢٩) ، قال الطبري : "يعنى تعالى ذكره بذلك أن أهم الأشياء التي بينت لكم في الآيات الماضية حدودى ، يعنى به معالم فصول ما بين طاعتى ومعصيتى ، فلا تتجاوزوا ما أحلته لكم إلى ما حرمته عليكم، وما أمرتكم به إلى ما نهيتكم عنه ، ولا طاعتى إلى معصيتى" وقال ابن عباس : "يعنى بالحدود الطاعة"^(٣) .

(١) تفسير الطبري : ج١٦ ، ص١٠٠ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثني محمد بن سعد قال ثنا أبي قال ثنا عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس .

- تفسير الطبري : ج٢٢ ، ص٨٤ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "نفس السند السابق" .

- تفسير الطبري : ج٢٠ ، ص٢٨٩ .

وهكذا تتضح معالم الطريق أمام الإنسان ، فإذا أطاع الله وأخلص له العبادة كان محققاً للهدف الذى من أجله خلقه الله تعالى : "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات : ٥٦) ، قال ابن عباس : إلا ليقروا بالعبودة طوعاً وكرهاً ، وأضاف الطبرى : إلا ليدعنوا لى بالعبودة" (١) ، واستحق هذا العابد المخلص الأجر والثواب العظيم ، قال تعالى : "إلا عباد الله المخلصين ، أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون ، فى جنات النعيم" (الصافات : ٤٠ : ٤٣) .

لم تكن التربية بكل ماتسمت به من شمول وتكامل وليدة العصور الراهنة ، وإنما تأصلت أصولها وامتدت جذورها مع بداية نزول الكتب السماوية ، وبصفة خاصة فى عصر ظهور الإسلام، ونزول الوحي بالقرآن الكريم ، وبداية تفسير القرآن تفسيراً بالمأثور من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال صحابته وتابعيهم رضى الله عنهم، بل ومن آيات القرآن الكريم نفسها .

واتضح مفهوم التربية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم من خلال تفسير "التربية" فى موضعها اللذين ذكرت فيهما من سورتى الشعراء والاسراء. وكذلك فى تفسير سورة لقمان حيث تبين أنها تعنى النمو فى مرحلة الطفولة فى حياة الانسان ، وما يقدمه الكبار كوالدين وغيرهما من الإعداد والرعاية للأطفال فى بداية حياتهم .

إلا أن هذا لايعنى توقف التربية عند مرحلة الطفولة ، لأن الانسان فى نمو مستمر ، والتربية عملية مستمرة أيضاً ، وإذا لم يكن قد صرح باستمرار عملية التربية بعد مرحلة الطفولة فى آيات القرآن الكريم وتفسيرها بالمأثور ، فقد اتضح شمولها لكل مكونات الطبيعة الانسانية ، فتربية الجسم وتربية العقل والتربية الخلقية والتربية الروحية لاتقتصر على مرحلة الطفولة ولايعقل أن تتوقف بعدها ، بل هى مستمرة مع الإنسان وتلازمه منذ طفولته إلى صباه وشبابه ، فكان هذا الشمول فى التربية دليل استمراريتها .

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : ج ٢٧ ، ص ٨ .

والإسلام يعترف بالطاقة الحيوية المنبعثة من الجسم ، ويتجه الى تربيتها بالتنظيم والتهذيب
لابالكبت والقمع ، لذلك دعا إلى التمتع بالنعم التي أحلها الله لعباده ، ونهى عن اتباع المعتقدات
الخرافية التي كانت تحرم التمتع بهذه النعم .

وكما أحل الله للناس من الطعام والشراب ماينفعهم ويفيد أجسامهم ، فقد حرم عليهم
مايؤذيهم ويضر بأجسامهم ، وانطبق هذا على سائر احتياجات جسم الإنسان وشهواته ، فقد توجهت
إليها التربية الإسلامية بالتنظيم والتهذيب من خلال أطر محددة تحلل له مايفيده وينفعه منها ،
وتحرم عليه مايضره ويؤذيه .

وتحرص التربية الجسمية فى الإسلام على تنمية عادات العناية بالنظافة الشخصية للمسلم ،
والحرص على طهارة جسمه ، ويتمثل ذلك فى فرض الغسل والوضوء قبل الصلاة والإفاضة فيه ،
وترغيب الإنسان فى الطهارة الحسية بعقد الصلة بينها وبين التطهر من الذنوب والتخلص من
وسوسة الشيطان والفوز بحبة الله وثنائه على المتطهرين .

ويتجلى الاتجاه الإسلامى إلى تربية الجسم فى النهى عن الركون إلى الكسل واستمراء
الحصول على الثمرة بدون عمل ، وفى الدعوة إلى العمل الصالح والحث عليه بإثبات جزائه وثوابه .
ويحرص الإسلام على سلامة جسم الانسان ليصير قوياً، ويستخدم هذه القوة فى البناء
والتعمير والعمل الخير ، لأن يستخدمها فى البطش بالناس وترويع الآمنين .

واتجهت التربية العقلية فى الإسلام إلى الدعوة الدائمة والحث على إعمال العقل بالتأمل
والتفكير وطلب العلم للوصول الى الحقيقة واليقين وبينت للناس أن سبب الضلال والانحراف عن
الطريق المستقيم هو عدم العمل بمقتضى هدى العقل السليم .

وتحرص التربية العقلية فى الإسلام على سلامة العقل وتهتم بصونه من كل مايسبب له
الضرر والإيذاء ، كما اتضح فى تحريم الخمر لما فيها من إذهاب للعقل وتضييع له .

ويتجلى الاتجاه الاسلامى إلى تربية العقل فى الدعوة إلى طلب العلم ، وإدراك قيمة العلم فى صقل العقل وتنويره، وتخليصه من الانقياد للسابقين وتحريره من التبعية للموروث من المعتقدات الباطلة والتقاليد الفاسدة، حتى يرقى الانسان الى المكانة التى تليق به .

ولقد ظهرت النظرة الاسلامية التكاملية للطبيعة الانسانية بوضوح فى اتجاه التربية الأخلاقية إلى تعديل سلوك الإنسان ، وإصلاح أمر مكونات ذاته الإنسانية مجتمعة ، بدعوة الإنسان إلى طاعة الله وأداء فرائضه عن إيمان و يقين ، وضبط النفس بالثروى والحلم والصبر فى الشدة والرخاء وحماية الجسد من الضرر بالنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والتخلق بأخلاق المنافقين .

ولم تقتصر التوجهات التربوية فى الإسلام على بث الاخلاق الفاضلة فى نفس المسلم باعتباره فرداً منفرداً عن الآخرين ، وإنما نظرت إليه كعضو فى جسد واحد ، فحرصت على توثيق علاقة المسلمين بعضهم ببعض .

والتربية الروحية التى استمدت أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية هى القادرة على إيجاد الانسان على صورة من صور كمال النفس وحسن السلوك والقدرة على التعامل العاقل فى كل المجالات والمواقف. فهى توجه الإنسان إلى عقد صلة دائمة بالله تعالى وقربى منه ، بأداء الفروض والعبادات، الصادرة عن إيمان راسخ فى القلب يصدقه عمل الجوارح كلها فى تنفيذ الأوامر والانتهاى عن النواهى ، وبلوغ مرتبة التقوى بالعمل الصالح طاعة لله وأملاً فى رضاه وخوفاً من حسابه وخشية عقابه ، وكلما زاد العمل الصالح ازداد نور الإيمان فى قلب الإنسان حتى يرتقى إلى مقام الإحسان، فيقدر المسئولية التى حملها ويعلم انفراده بحمل تبعاتها وماسيئرتب عليها من جزاء.

وعلى هذا يمكن القول بأن التربية الروحية تعد نقطة إلتقاء مجالات التربية الشاملة لكل جوانب الذات الإنسانية ، فبالتربية الجسمية تسمو الروح ، وترتفع عن مستوى الدنيا من الرجس

والشهوات، وبالتربية العقلية تنطلق الروح فى عالم أرحب ، متأملة فى ملكوت السموات والأرض،
ومعتبرة بقدرة الخالق المبدع فى هذا الكون ، وبالتربية الخلقية تنمو الروح مترفعة عن الأحقاد
والشرور ، متسامحة فى اعتدال ، ودودة محبة ، تحتوى الخلق جميعاً فى ترابط وجدانى عميق ،
وتتجه إلى ذات الله العليا فى انقياد قدسى وطاعة ولاء ..